نظرات

بقلم الأديب اللبنانى

جورج نقولا عطية

لا فرق بينهما

المريض هو رجل بسمت له الحظوظ فنال منصباً ، وتكاثرت معارفه ، إذ الناس طبعاً يكونون دائماً « مع الواقف » كقول العامة أى مع من يثرى ، فينال العز والجاه والجبروت .

ما هى هذه الجماعات المتلاطمة فى منزل ذاك المريض «الواقف» ؟ الأطباء ، الصيادلة ، رؤساء الكهنة ، العشارون ، الفريسيون ، الحمالون ، العمال ، المحيط كله من نساء ، ورجال وعجائز وأطفال ، تفقدوا صحته الغالية ، ودعوا لدولته بالشفاء . ولكن من هو هذا المريض الثانى ؟

فقير معدم «وصاحب عيال» مرض فلم يقل له أحد من الناس « كيف حالك يا ابن آدم» !

أين هو ... الجماعات الزاخرة ؟

أين هو ر ... (طبيب الروح ؟) ، ورجل الدنيا (طبيب الجسد ؟) ولماذا هذان لا يعودان الفقير

هو المريض الغنى يدفع لهما أجراً وافراً ؟ فى بعض الأحيان لا يدفع لهما شيئاً ، ولكنهما يفضلانه على الفقير الذى يدفع من دراهم له جمعها بقطرات الدماء . ويقولون مع هذا بأن الديمقراطية سادت جميع الطبقات (لربما زادتها قتماً وسواداً)

التوسع :

كل العلوم لا قرار لها

يطلب الفيلسوف واللغوى العلامة والبحاثة ، التوسع فى علم من العلوم ، فيعود الى الوراء كلما حاول التقدم الى الأمام . والفيلسوف الرازى يأتيك ببرهان ساطع فيقول :

نهـاية إدراك العقول عقال وغاية سعى العالمين ضـلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه : قيل وقالوا

راجع كتب النحو والصرف ، ومعاجم اللغـة ، وما فيها من هوامش ومشروحات ، ومناقضات ، ترى بأن تلك المجلدات لا تحوى الا عبارات : قال سيبويه ، ويقول ابن عبد ربه ، وينسب هذا الشرح الى فلان ، ويناقضه فلان . فأئمة اللغة وفطاحلها عجزوا عن ادراك نهاية كل قاعدة . حتى أن أحد اللغويين المدققين صرح عند موته قائلا : أموت بدون أن أتوصل الى مواقع حرف « حتى » فى حالتى الرفع والنصب وما يليهما ، وفى هذا العالم أيضاً ، لاحد لمطامع بنى الانسان فى التبسط والتوسع وما شابه .

الأقوياء :

هوذا شاب يتثاقل فى مشيته كأنه ابن تسعين ، كسول ، خامل ، ضعيف الهمة ، وهو ذا شيخ يمشى بسرعة البرق ، كأنه ابن عشرين ، نشيط ، عبقرى ، واسع المدارك ، بعيد الهمة ، فما هو السبب يا ترى ؟

شب ذلك الشاب متـكلا على غيره ، وشب الشيخ متـكلا على ساعده ، وهنا السر .

وفى الجسم نفس لا تشيب لشيبه ولو أن ما فى الوجه منه حراب

فالجسم وإن أثرت عليه متاعب الحيـاة وزوابع الحظوظ ، وعواصف الاضطهادات وحوادث الأقدار ، يبقى ثابتاً فى وضعيته ، فيما إذا كان الانسان جلوداً حكيما نشيطاً .

يقولون : العقل الصحيح فى الجسم الصحيح « وهذا قول يكاد يكون مأثوراً ، ولكن لـكل قاعدة شواذ » .

ولهـذا نرى رجالا سليمى العقول ، ولكن خاملى الأجسام ، ونرى أيضاً رجالا مختـلى الشعور ولـكن أقوياء الأجسام .

فاجتهد كى تجعل جسمك نشيطاً قوياً ليكون لك على الاقل عقل شـبه سليم ، إذ العقل بكل نواحيه لا يستقر فى رأس أى إنسان كان ؟

جورج نقولا عطية